جماليات القرآن الكريم والشعر العربي بين أساليب التمني والترجي

الدكتورة نانسي ساكي

عضو الهيئة التعليمية ـ جامعة شهيد چمران اهواز – ايران

الدكتورة رحيمه چولانيان (الكاتب المسؤول)

عضو الهيئة التعليمية ـ جامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان ـ ايران

rahimeh_choulanian@yahoo.com

Tamanna and Taraja Stylistic in the Holy Quran and Arabic Poem from the Perspective of Aesthetic

Dr. Nancy Saki

Assistant Professor of Shahid Chamran University of Ahvaz,Ahvaz,Iran

Dr. Rahimeh Choulanian

Assistant Professor of Islamic Azad University of Abadan-Iran

(responsible author)

الملخص:

سعى البلاغيون منذ القدم إلى ا ستيعاب الدلالات الحقيقية لأصل المعاني التي تؤدي إليه أساليب التمني والترجي؛ وفي ن فس الو قت اتضح أن هذه الأساليب تنتقل من م عني إلى معانٍ أخري، علي الرغم من قلة الأدوات التي تستخدم في هذه الأ ساليب، و قد يت بادل الأسلوبان موقعيهما حسب النصوص، ح تى التبس أمر هذين الأسلوبين علي البعض.

ولا يخفي أن ت قارب ا ستخدام م عاني (التمني) و(الترجي) إلى هذا الحد أدي إلى أن يسمح فيه بتبادل بعض أدواته ما، ك ما هو معروف عند علماء البلاغة.

ومن هذا المنطلق تحاول هذه الدرا سة تبيين أهمية جمالية لمعاني الأ حرف والأدوات المستخدمة في هذين الأسلوبين، وتفرد معاني ها واستخدامها في ا لنص القرآ ني من خلال الإجابة علي الأسئلة التالية:

- كيف كانت النظرة لأساليب التمني والترجي في الدرا سات اللغو ية والبلاغ ية ع ند القدامى؟
- كيف تتشكل البنية الأسلوبية للتمني وللترجي في القرآن الكريم من خلال السياق الوارد في النص القرآني؟
- هل توجد فوارق لأوجه الجمال في استخدام هذين الأسلوبين في القرآن الكريم وال شعر العربي؟

الكلمات المفتاحية: القرآن ال كريم – ال شعر العربي – التمني – الترجي.

Abstract:-

The rhetorical scholars have been tried long time ago to understand the getting of true signifies of those terms that their real meaning which impresses Tamanna and Taraja style. And at the same time, it is specified that the expressive style is applied from one meaning into another sense sometimes, although there are many used instrumentation in this expressive style, and sometimes according to the text type of their application they replace each other; so that these applications have been not easily distinguished and determined, therefore, we observe that some scholars, such as Al Hariry states caustically to some of these people that these individuals do not know the different between Tamanna and Taraja. To some extent, it is obvious that the application proximity of these meanings application (Tamanna and Taraja) use instead of each other, and this application is popular with the rhetorical scholars. Thus, this study aims to express the importance of aesthetic of the meanings of the terms and the instrumentation in these two expressive styles and how their application in Quran text through the Quern's response to the following questions:

- What has been the scholars' perspective on using expressive style of Tamanna and Taraja?
- How has been the structure stylistic of Tamanna and Taraja within Quran text structure?
- Is there any differences between these two styles in Quran from the perspective of aesthetic?

Key words: Stylistic, Tamanna, Taraja, Holy Quran, Aesthetic.

المقدمة:

قبل البدء في الدراسة لابد من التطرق بإيجاز إلى موضوع إعجاز القرآن الكريم، وأسلوب التمني والترجي في القرآن الكريم وبيان هذا الأمر.

قد ذكر السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" أن قارعي باب الاستدلال بعد الاتفاق على أنه معجز مختلفون في وجه الإعجاز.

أ- فمنهم من يقول: وجه الإعجاز هو أنه عز سلطانه صرف المتحدين لمعارضة القرآن على الإتيان بمثله بمشيئته.

ب- ومنهم من يقول: وجه إعجاز القرآن وروده على أسلوب مبتدئ مباين لأساليب كلامهم في خطبهم وأشعارهم، لاسيما في مطالع السور ومقاطع الآي.

ج- ومنهم من يقول: وجه إعجازه سلامته عن التناقض.

د- ومنهم من يقول: وجه الإعجاز الاشتمال على الغيوب.

هـ- فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة (السكاكي، ٢٠٠٠، ٢٤٧-٢٤٩).

إن بروز تيار أدبي انهمك بالاعتناء بالسجع، وتنسيق توافق الكلمات من حيث اللفظ دون المعنى، أدى في القرن الخامس للهجرة إلى ردة فعل تجلت في الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن النحو. وقد تصدى الإمام عبد القاهر الجرجاني للتيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى. وهاجم الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن علم النحو. وأكد أن البلاغة ليست أمراً مستقلاً عن اللغة، وبيّن أن البلاغة تساعد اللغة على أداء وظيفتها المتمثلة في الاتصال. فكان كتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني" بداية مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة العربية، هي مرحلة الدراسة الوظيفية للغة العربية، واشتمل كتاب دلائل الإعجاز" على نظرية متكاملة في اللغة ووظائفها.

وقبل أن نعرض رأي الإمام الجرجاني في إعجاز القرآن، سنقدم بعض التوضيحات للمفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها الجرجاني.

١- إن الجرجاني حين يؤكد أن (الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها) ينطلق في ذلك من الوحدة التي لا تنقصم بين الشكل (اللفظ) والمضمون (المعنى). "وليت شعري، هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ و هل هي إلا خدم لها، ومصرَّفة على حكمها..."(الجرجاني، ٢٠٠٤، ٢٦٦).

"إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محاولة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق" (نفس المصدر، ٨٣).

٢- يفيد تعبير (نظم الكم) عند الجرجاني (ترتيب الكلمات وتأليف الكلام)، ويمكن تلخيص علاقة الكلمة المفردة بالنظم بما يأتي:

لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبار موقعها في النظم. "إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موقع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر" (نفس المصدر، ٨٦). "فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلفت بها الحال ولكانت أما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبداً" (نفس المصدر، ٨٧).

عندما ينتقد الجرجاني الذين يقدمون الشعر بمعناه دون الاهتمام بنظم ألفاظه يجب أن نفهمها في ضوء شرحه للعلاقة بين المضمون (الذي هو المعنى) والشكل (الذي هو اللفظ)، وإنه لا يجوز فصل أحدهما عن الآخر، لذا لا يجوز أن نأخذ بعين الاعتبار جانباً واحداً منهما فقط، ونهمل الجانب الآخر. وهذا هو السبب في الانتقاد الشديد الذي وجهه القدماء ممن صنف في البلاغة كالجاحظ لمن أهملوا الشكل، ولم يوجبوا الفضل والمزية في الشعر إلا من جانب المعنى، وحتى يكون قد قال حكمة أو أدباً، واستخرج معنى غريباً أو شبيهاً نادراً (ضيف، بلا تا، ٤٦).

٣- إن مصطلح (المعنى) الذي يستخدمه الجرجاني -حين لا يقصد به معاني الكلم المفردة، بل معاني الكلم المرتبطة بالنظم- يفيد (معنى الكلام). فلو أردنا أن نلخص

بإيجاز رأي الجرجاني في معاني الكلام نستطيع أن نقول: إن الجرجاني يشترط لوصف الكلام بالبلاغة أن يجتمع فيه عنصران:

أ- حسن الدلالة وتمامها فيما كانت له الدلالة، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته.

ب- تظهر الدلالة في صورة بهية، وذلك بأن يختار للمعنى، اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له.

ويشير الجرجاني إلى أن المجاز والإيجاز من أركان الإعجاز كذلك. ويؤكد على دور النظم في الإعجاز، ويرفض الزعم بأن الإعجاز في مذاقة الحروف، وفي سلامتها مما يثقل على اللسان، فيقول: "ذلك لأنه أول شيء يؤدي إلى أن يكون القرآن معجزاً، لا بما به كان قرآناً وكلام الله عز وجل؛ لأنه على كل حال إنما كان قرآناً وكلام الله عز وجل بالنظم الذي هو عليه، ومعلوم أن ليس النظم من مذاقه الحروف، وسلامتها مما يثقل على اللسان في شيء. ثم إنه اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن إلى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة، وما رأينا عاقلاً جعل القرآن فصيحاً أو بليغاً بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان؛ لأنه لو كان يصح ذلك لكان يجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام والسفاف الرديء من الشعر فصيحاً إذا خفت حروفه" (الجرجاني،٢٠٠٤، ٣١٨).

ويمكن تلخيص رأي الجرجاني في إعجاز القرآن بما يأتي:

١- إن الوصف الذي له كان القرآن معجزاً -وهو الفصاحة والبلاغة- خالداً فيه على الدوام، والطريق إلى العلم به موجود، والوصول إليه ممكن.

٢- لابد من الرجوع إلى علم النحو والشعر العربي من أجل الكشف عن إعجاز القرآن.

٣- لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبارها في النظم. ويجب أن يتوافر في الكلام البليغ عنصران: حسن الدلالة وإظهارها في صورة بهية. لذا يظهر إعجاز القرآن في مزايا نظمه وخصائص سياق لفظه.

٤- ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكا ـمه في ـها ـبين الك ـلم، ك ـها أن

الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون، وهذا يعني أنه لا يجوز فصل النحو عن البلاغة. لذا فإن دلائل الإعجاز تكون في معرفة الارتباطات النحوية بين الكلم من جهة، ومن جهة ثانية في معرفة ارتباط معاني الكلام بالموقف أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه.

ومن هذا المنطلق نحاول في دراستنا هذه ألا نفصل دراسة النحو عن دراسة فقه اللغة ودراسة البلاغة؛ إذ لا بلاغة بدون موافقة تركيب الكلام لقواعد اللغة، ولفصاحة الالفاظ وجزالتها، وتآلفها، وانسجامها مع المعني المقصود.

جماليات اسلوب التمني والترجي في القرآن الكريم والشعر العربي:

قد حاول علماء البلاغة منذ القديم إلى إدراك الادلالة الحقيقة للأصل اللغوي لأسلوبين التمني والترجي؛ وفي الوقت نفسه أن هذين الأسلوبين قد خرجا إلى معان أخري، تتضح من السياق علي الأدوات المستخدمة فيهما.

وقد انحاز هؤلاء البلاغيون إلى جعل التمني أحد أساليب الإنشاء الطبي بينما لم يروا في أسلوب الرجاء إنشاءً طلبياً، وإنما رأوا فيه إنشاء غير طلبي، حتى نري التفتازاني علي الرغم من تصريحه في بداية مبحث التمني قائلاً: "إذا كان المتمني ممكناً يجب ألّا يكون لك توقعٌ وطماعية في وقوعه، وإلا لصار ترجياً..." (تفتازاني، بلا تا،١/٢٠٠)

ولو نظر الباحث بعين فاحصة لأدرك أنهما يؤديان غاية واحدة، فكلاهما يبني علي طلب لا يتحقق إما لاستحالته أو لبعد وقوعه... ولكن الفرق بينهما عند القدماء أن التمني غير قابل للوقوع أيا كان شأنه... بينما الترجي قابل للوقوع، وغايته الإخبار لديهم فهو يدخل في الممكن لا المستحيل، "ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين الترجي والتمني، والفرق بينهما واضح، وهو أن التمني يقع علي ما لا يجوز أن يكون، ويجوز أن لا يكونن كقولهم: ليت الشباب يعود، والترجي بما يجوز وقوعه، ولهذا لا يقال: لعل الشباب يعود، ولأجل افتراقهما في هذا المعني فرّق البصريون من النحويين بينهما في باب الجواب بالفاء، فأجازوا أن تقع الفاء جواباً للتمني في مثل قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ...﴾ (النساء:٧٣)، ومنعوا أن تقع الفاء جواباً للترجي، وضعفوا قراءة من قرأ ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ (غافر:٣٦-٣٧) بنصب أطلع، ورجحوا قراءة من قرأ بالرفع (لحريري، ١٩٩٩، ٣٠٤ -٣٠٥).

أولاً: التمني الحقيقي:

فرّق علماء البلاغة بين نوعين من التمني؛ تمنٍّ مستحيل، وتمنٍّ بعيد الوقوع، كلاهما لا يرجي حصوله، وجعلوا لهما أداه أصليه، وهي (ليت):

١- التمني المستحيل: هو طلب أمر مرغوب فيه، أو محجوب لا يرجي حصوله لكونه مستحيل الوقوع. ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٧٣) فالتمني واقع للمنافقين الذين يختلفون عن المؤمنين؛ فإذا أصابهم فضل عظيم تمني المنافقون أن يكونوا معهم ليفوزوا أيضاً بما حصلوا عليه. ولكن أنَّي لهم ذلك!. وعليه قول الشاعر:

يا ليتَ شعري، ألا مِنجي من الهَرَم أم هَل علي العيش بعد الشيبِ مِن نَدَم؟

فهو يتمني أن ينجو من الهرم، وكبر السن بما فيه من شيب وضَعف؛ وكيف له ذلك؟ إنَّه تمنٍّ مستحيل. أما ابن الرومي فإنه يتمني أن يمتد ليل رمضان حتى يعادل شهراً، على حين يتمني أن يمر النهار الذي يكون فيه صائماً مرَّ السحاب:

فليتَ الليلَ فيه كان شهرًا ومَرَّ نهاره مَرَّ السحاب

(ابن الرومي،١٩٩٨، ٢٠٨/١)

وهكذا نجد ابن الرومي يتمني أن تجاري كل ليلة في رمضان شهراً كاملاً، وأن يمرَّ نهاره مسرعا مرّ السحاب. والشاعر في هذا البيت الشهير فقد تمني عودة شبابه الذي ذهب، ولا سبيل إلى عودته:

ألا ليتَ الشبابَ يعود يوماً فأبلغَه بما فَعَلَ المشيبُ

٢- التمني البعيد الوقوع: وهو طلب أمر مرغوب فيه أو محبوب لكونه ممكن الحدوث، ولكنه بعيد المنال في التحقق، فهو أشبه بالمستحيل؛ كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص:٧٩). فمن أراد الحياة الدنيا ورغب في الحصول

علي مالٍ وفيرٍ يعادلُ مالَ قارون، فإذا كان قارون قد أوتي من الحظ الكثير فلا يعني أن يتحقق للآخرين وإن لم يكن مستحيلاً، ومنه قول مروان بن أبي حَفصة في ذكر هشام وتحاملَه عليه، وما كان يريد من نقض أمره وولايته:

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى مِكتَلَه الأوفر قد أترعا

(الإصفهاني،١٩٩٧، ٢٩٨/٩)

فالشاعر يتمني لو أن هشاماً لم يمت كي يري، ولكن هيهات! هيهات!، فعلي الرغم من أن العمر قد يطول ببعض الناس إلا أنهم طعام للموت، ومن ثم تمني لو كان هشام يعمّر حتى... لكن تمنيه كان بعيد الوقوع، ولا يتحقق فقد مات هشام.

٣- أدوات تستخدم موضع (ليت): بهذا اتضح لنا أن صيغة التمني الوحيدة في المعنيين السابقين هي (ليت)، فهي موضوعة للمعني الأصلي فيه، وقد يستعمل في معناها أدوات ثلاث أخري: هي (هل، لو، لعل). ولا يتمني بهذه الأدوات الثلاث إلا في المعني المقطوع بعدم وقوعه؛ لئلا تُحملَ معانيها في التمني علي معانيها الأصلية، مما يبرز الفرق بين الجوهر والعَرَض.

وحين تختص هذه الأدوات بالتمني فإن البلاغيين واللغويين رأوا أن الفعل المضارع إذا وقع في جوابها وجب نصبه، وهي تستخدم مكان (ليت) لأمر بلاغي وجمالي، وهي:

١- هل:

تستخدم (هل) موقع (ليت)، وتدل دلالتها الحقيقة، وقد أورد التفتازاني: "وقد يتمني بهل نحو: هل لي من شفيع. حيث يعلم ألا شفيع له؛ لأنه حينئذ يمتنع حمله علي الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه، والنكتة في التمني بهل والعدول عن ليت هي إبراز المتمنَّي لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه" (التفتازاني، بلا تا،٢٠٠/١)، كما هي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (غافر:١١). فالكافرون قد أنكروا البعث فكفروا، فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم، علموا أن الله قادر علي الإعادة قدرته علي الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث، وتمنوا الخروج من النار خروجاً سريعاً أو بطيئاً بعد أن رأوا قدرة الله، ولكن لا

سبيل لهم إلى الخروج قط، وكيف يخرجون منها وقد كفروا بتوحيد الله؟ (الزمخشري، بلا تا، ٤/١٥٥).

٢- لو:

تستخدم هذه الأداة أيضاً مكان (ليت) علي شكلين: الأول أن تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة (أن)، إلّا أنها لا تنصب، وأكثر وقوع هذه بعد فعل (وَدَّ- يود). والثاني أن تكون للتمني. وكلاهما في معني التمني (ابن هشام، ١٤١٠،الباب الأول، حرف اللام). فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم:٩). فقد وَدَّ الكاذبون المداهنة أي تمنوا لو تلين وتصانعهم، وأن تعبد الله مدة، وآلهتهم مدة، و... فقد استخدم (لو) بمعني التمني غير الحاصل. فإن قلت: لم رفع (فيدهنون) ولم ينصب بإضمار (أن) و هو جواب التمني؟ قلت: قد عدل به إلى طريق الإخبار، وهو أن جعله خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون (الزمخشري، بلا تا، ٤/٥٨٦).

وأيضاً من الأول ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة:٩٦)، "فإن قلت: كيف اتصل لو يعمر بيودّ أحدهم؟ قلت: هو حكاية لودادتهم. و(لو) في معني التمني" (الزمخشري، بلا تا، ١/١٦٨).

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:١٠٢) أي: فليت لنا قوة كافية للرجوع. و(لو) في مثل هذا الموضع في معني التمني، كأنه قيل: فليت لنا كرة، وذلك لما بين معني (لو) و(ليت) من التلاقي في التقدير (الزمخشري، بلا تا،٣/٣٣٢). ومنه قول الشاعر بشر بن أبي خازم:

هي العيشُ لو أنّ النوَي أسعفت بها ولكنَّ كرّاً في ركوبة أعصر

٣- لعل:

تستخدم (لعل) في معني (ليت) للتمني "فالمرجو بلعل قد يكون بعيد الحصول، فيشبه التمني في عدم الحصول، فصار ترجيه كأنه يتولد منه معني التمني" (فاضلي،١٣٩،١٣٦٥) كقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ (الغافر:٣٦-٣٧) أمر فرعونُ

أن يُبني له صرح مكشوف عالٍ، متمنياً أن تتحقق له أمنيته إذا علاه في الوصول إلى إله موسي. وهذا علي إنزال (لعل) التي تفيد الترجي منزلة (ليت) التي تفيد التمني، فأطلع بالنصب علي جواب الترجي، تشبيها للترجي بالتمني (الزمخشري، بلا تا،٤/١٦٧) وعليه قول الشاعر العباس بن الأحنف:

أسِربَ القَطا! هل مَن يُعيرُ جناحَه لعَلّي إلى مَن قَد هَويتُ أطيرُ

(ابن عقيل،١،١٤١١/١٤٨)

فالأسلوب هنا خلق صورة بديعة حيث استعمال (مَن) وربطها بـ (لعل) في شكل مثير. "ومما يمتاز به أسلوب الشعر أيضاً أن من حق الشعر أن يرفع نفوسنا عن تجربة الحياة المألوفة إلى مستوي أسمي وأرفع" (فاضلي،١٣٦٥، ٣٧٨)، نكتفي بهذا القدر من الكلام عن التمني الحقيقي، ونتطرق،لي المعاني البلاغية البعيدة لأسلوب التمني المجازي.

ثانياً: أسلوب التمني المجازي:

إن الفارق الدلالي بين (التمني) و(الترجي) هو قرب حصول المطلوب أو بعده أي إمكانية أو استحالة المتمني؛ وإن كل هذه الأمور لا تقاس بالعقل، ولا تقدر بالنسبة إلى العُرف أو الواقع، فالمعيار الحقيقي في ذلك هو نفسية المتكلم المبدع الذي تأتي هذه الأساليب معبرة ومصورة مراده، وعلي هذا الأساس قد يتبادل الأسلوبان موقعيهما في نظرنا، ويكون لكل منهما حينئذ ما يبرزه استبعاد الداني واستشعار الاستحالة في الأمر القريب. إن المتكلم المتمني لطلب ما إنما يوظف ألفاظه لغرض ما قد يكون بعيداً في التأمل كبعد التمني في التحقق والحدوث. فاللغة في هذا الأسلوب تتجلي عن معان كثيرة حاضرة في الذهن والقلب والنفس، ومن ثم متجددة ومتعانقة بالخيال؛ لتنفتح علي عالم من الرؤي البعيدة والعجيبة، فمهمة الأسلوب الجمالي المثير نابعة من مهمة اللغة التصويرية البديعة والدالة علي ايماءات تقترب من الرمزية؛ وإن تتخلّ عن الأبعاد الواقعية للغة الأسلوب الحقيقي للتمني...، فأسلوب التمني يتصل بأسرار النفس الإنسانية، ويحاول كشف جوهر حركة التغيير في الواقع الاجتماعي باعتباره غاية وهدفاً. ولعل هذا ما يتجلى في كل أسلوب من أساليب التمني المجازي؛ مما نذكره كالآتي:

١- الترجي:

يقال في الترجي: إنه ارتقاب شيء، لا وثوق بحصوله، فمن ثَم لا يقال: (لعل الـ شمس تغرب)، ويدخل في الارتقاب، الطمع والإشفاق؛ فإن الطمع ارتقاب المحبوب، نحو: لعـلك تعطينا. والإشفاق ارتقاب المكروه (مازندراني،١٣٧٦، ٦٢)، فإذا كان الأمر المرغوب فيه في أسلوب التمني مما يرجي حصوله وليس مستحيلاً كان طلبه ترجـياً، ويـعبر عـنه بـ(لعل وعسى)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق:١). فهذا الكلام جزء من آية يأمر فيها الله المطلَّقة ألا تخرج من بيت الزوجية حتى تنقضي العِدة، فلعل الله يـغير قلب ذلك الزوج، ويقلب قلبه من البغض إلى المحبة، ومن عدم الرغبة فيها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه، فيراجعها أي أحصوا العدة لعل كم ترغـبون وتـندمون وتراجعون (الزمخشري، بلاتا،٤/٥٥٢-٥٥٣).

ونلحظ أن هذا الأسلوب لم يأت علي صيغة التمني في المعني، وإنما جاء علي جهة أداة اللغة لوظيفة مباشرة؛ وهي استخدام (لعل) علي الأصل في الرجاء الذي يمـكن حـصوله، فالأسلوب البلاغي يؤدي وظيفة محددة، بينـما إذا اسـتخدمت (لـعل) في الـتمني، أو استخدمت (ليت) في موضع (لعل أو عسى) فإن الأمر سيتغير كثيراً، فاللـغة في مـثل الأسلوب تقوم علي نظام غير معياري في إطار العناصر التي تتضافر فيه وفق عملية الانزياح لتؤدي وظيفة جديدة في عملية التشكيل الجمالي.

فأداة التمني (ليت) إذا استعملت في معني الترجي، وحلَّت محل (لعل)أفادت مـعني المبالغة في الحصول علي الطلب... و أبرزت الطلب الممكن في صورة المستحيل.

تبين لنا أن تقارب (التمني) و(الترجي) إلى الحد الـذي يـسمح فـيه بتـبادل بـعض أدواتهما، فأياً كانت أداوتهما، فإما هو طلب أمر مرغوب فيه أو محبوب لا يرجي حـصوله لكونه مستحيلاً، أو لكونه ممكناً بعيد الوقوع لا يتحقق وله أداة أصلية هي (لـيت)، أو هـو طلب أمر مرغوب يرجي حصوله وله أداة أصلية هي (لعل)، أدوات أخري تقوم مقامـها، وتحل محلها في المعني والسبب في خروج بعض هذه المعاني إلى بعض، هو تقاربها، والمعتمد في ذلك قرائن الأحوال، فلأجل ذلك يجوز استعمال بعضها مكان بعض.

ومن هنا تكمن القدرة علي التشكيل الجمالي الخيالي المثير. فلو قلنا: (ليت لي ألف دينار) لسُقنا الحصول علي هذا المبلغ في إطار نسق التمني؛ والتمني لا يتحقق، بينما الحصول علي المبلغ في المذكور واقع في حيّز الإمكان، فخرج الكلام عن المألوف لإبراز صورة الممكن في صورة المستحيل؛ وما هو إلا لإبراز المعني علي جهة المبالغة، وهنا تكمن الجمالية الفريدة لأسلوب التمني. وقيل: إذا وقعت (ليت) في معني (لعل وعسى) كانت للترجي وليس استعمال (ليت) في مكان (لعل) للاستحالة، فكشف عن جمالية مدهشة ذات إيحاءات متعددة، كما نراه في قول المتنبي:

فليتَ هَوَي الأحبَّةِ كان عَدلاً فحمَّلَ كلَّ قَلبٍ ما أطاقا

(المعري،٣،١٩٨٦/١١٦)

"يعني أن الحب قد جار عليّ فحمّلني فوق ما أطيقه من الشوق، فليت الهوي كان بالتسوية والنصفة بين العشاق، فيكون حظّ كل عاشق منه قدر ما يطيقه"، وقوله أيضاً في معني بديع، وقد حلّت به المصائب فلا تزايله:

فيا ليتَ ما بيني وبين أحِبَّتي مِنَ البُعدِ ما بيني وبين المصائب

(المصدر نفسه،٢/٤٣٢)

فهو يرجو أن يكون بعد أحبته لا يكون كبيراً مثل ما بينه وبين المصائب من قرب أي ليت الأحبة قريبة والمصائب قد بعدت، ولكنه حين استعمل (ليت) أخرج المعني بصورة المستحيل، فحقق وظيفة البلاغة والجمال معاً.

٢- إبراز المعني المستحيل في صورة الممكن القريب:

هذا الأسلوب عكس الأسلوب السابق، فوظيفة اللغة فيها نمط من الجموح العاطفي والفكري إلى تحقيق ما لا يمكن تحقيقه كقول صريع الغواني (مسلم بن الوليد) وقد تمني عودة أيام الصبا، ويتحسر علي ذهابها فيقول:

واهاً لأيّامِ الصِّبا وزمانِهِ لو كان أسعَفَ بالمُقام قليلا

فالأسلوب البلاغي للتمني في ذلك كله سعي إلى إبراز المعني المستحيل في صورة قابلة للوقوع؛ والتَصرف اللغوي أفسح المجال لتقبّل ذلك في المثال الأخير، فالتركيب في ظاهره (لو

كان أسعف...)، يدخل (كان) و(أسعف) في الاستحالة، بعد أن كان فعل (أسعف) يدل علي الإمكان. بيد أن التركيب المتكامل يتولد منه دلالة جديدة تؤكد إبراز المعني المستحيل في صورة الممكنف لأن فعلي (أسعف) و(كان) مترتبطان بالإيجاد والحدوث علي ارتباط أداة الشرط (لو) بالامتناع.

٣- العناية بالمعني المقابل للحصول والتشوق إليه:

ينحرف أسلوب التمني إلى طلب أمر مرغوب فيه يمكن تحققه في الواقع لغير المتكلم، ولمّا فات المتكلم ذلك الطلب تشوق إليه وحرص علي إدراكه. وهذا الأسلوب يستند إلى تطابق دلالته مع منطق الأشياء في الواقع المعيش لا الواقع نفسي الحقيقي للمتكلم؛ ما ولّد شحنة عاطفية عالية عنده كحال الكافرين في قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (الأعراف:٥٣)، فالتركيب بني علي أساس التمني لا علي أصل حقيقة الاستفهام؛ فعدم الاستشفاع امتنع للكفرة المكذبين بالرسل وبلقاء الله؛ فتولد منه المتمني المناسب للمقام؛ وهو إبراز العناية في صورة الممكن التي تتحقق بشفاعة الله لهم والعفو عنهم وعن شفعائهم. أما أن يشفع لهم من غزوهم في الحياة الدنيا فضرب من المحال. و مثل ذلك الأسلوب نجده في قول للشاعر:

ولّي الشبابُ حميدةً أيّامهُ ... لو كان ذلك يُشترَي أو يَرجِعُ

فالعلاقة التركيبية تقوم علي التضاد البلاغي بين (ولّي) و(يرجع) وما بينهما يتشوق فيه الشاعر إلى عهد الصبا الذي عاش فيه أيامه الجميلة، حيث برزت عنايته بذلك حين استخدم (لو) في التمني، وهو يتشوق فيه إلى الشباب الذي يتمتع به غيره. وقد يكون إبراز المعني الممكن وقوعه والتشوق إليه ممثلاً بما يجري مع المتكلم الذي يتمني أن يلقي أحبته لما رأي جماعة من الطير في السماء كقول ابن المعتز:

مَرَّت بنا سَحَراً طير، فقلت لها: ... طوباك؛ يا ليتني وإيّاك، طوباكِ

فاللذة الجماعية لهذا الأسلوب البلاغي تبرز في التأليف الفني التركيبي القائم علي المشاكلة والتضاد. أي إن ميدان الجمال ليس فيما بني عليه التركيب من ألفاظ واضحة؛ وإنما فيما ذلك التعبير من خلق صورة ممتعة غير متوقعة في كمال المعني والتشوق إلى حدوثه.

٤- الإشعار بعزة المتمني وندرته:

إن من غايات التمني تحويل الانتباه من شيء إلى شيء لإثارة الدهشة وحثاً للفكر علي التأمل. ولعل المعرفة التي يقدمها أسلوب التمني في هذا الاتجاه يمكن في إ شعار المخا طب بعزة المتمني وندرته. ويصبح الأسلوب بهذا التحول ذا جمالية خاصة لا نجدها في الأساليب السابقة. وعليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:١٠٢)، فلما تقطعت الأسباب بالكافرين وكانوا قد اتبعوا كبراءهم فظلموا أنفسهم فكانوا حطباً لجهنهم، تمنّوا لو عادوا إلى الحياة الدنيا واتبعوا الرسل والمؤمنين، فأعمالهم انقلبت حسرات ع ليهم بين ما أعمال المؤمنين كانت نعيماً وفوزاً بالجنة (الزمخشري، بلاتا، ٣٣٢/٣). وبينا سابقاً ما لـ(لو) في مثل هذا الموضع في التمني.

وبهذا برز المتمني بصورة عزيزة وعظمية، لا يستطيع الكفرة إدراكه. وقد أجاد المتنبي في استعمال هذا الأسلوب حين رثي أخت سيف الدولة في قوله:

فَليتَ طالعة الشَّمسَين غائبةٌ ولَيتَ غائبةَ الشمسين لم تَغِبِ

(المعري،١٩٨٦، ٥٧٢/٣)

يقول: كانت كالشمس، فليتها بقيت ولم تغب، وليت الشمس التي تطلع كل يوم غابت وفقدت، فحرص علي استعمال صفة الشمس في حال المغيب والإ شراق؛ واعتمد علي مفهوم الطباق لإبراز المعني من جهة، وبيان عزته ندرته، فالتمني اعتمد علي أ سلوب الاختلاف النادر في المطابقة، فالشمس تطلع وتغيب، ولكنه تمني ألا تطلع، أما أخت سيف الدولة فقد غابت إلى الأبد، وتمني ألا تغيب. وبهذا أنتج الأسلوب معني العزة في ا لتمني، وعليه قول المتنبي أيضاً:

ألا ليتَ شِعري هَل أقولُ قصيدةً فلا أشتكي فيها ولا أتعتَّبُ

(المصدر نفسه)

فقد أشعرنا المتنبي بعزة تلك القصيدة التي لا يشتكي فيها من شيء حين استعمل كلمة (ليت)، فهي نادرة الوجود. ومنه قولنا: (لو تأتيني فأحدثَّك وتحدثني)؛ فقد أنزلنا مجيء أحدٍ ما منزلة العزيز النادر. وهذا كله يعلي من تقدير التشكيل الجمالي المقدّر لقمـية الخـيال في

تحديد نوعية الإسلوب البلاغي؛ إذ كل أسلوب لا يماثل أخاه في مكوناته الجمالية، ولو انبتق كل منهما من مشكاة خيال واحد. ولا يعني هذا أن الأسلوب البلاغي يهدف إلى تبديل العلامة اللغوية إلى معني؛ وإنما يهدف إلى تشكيل جمالي يعالج ماهية البنية ذاتها في إطار وظيفتها النفسية والفكرية و....

٥- التندّم والتحسُّر:

يرتبط الشعور بهذين الإحساسين بقضية الفقدان أياً كانت، هذا من جهة، ومن جهة أخري أن علم الدلالة اليوم يعني ببنية الجملة وتفسيرها من الجهة الدلالية؛ فإن عبدالقاهر الجرجاني قد سبقهم إلى ذلك حين قال: ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علي قوانينه وأصوله. ولكن عملية التحول في الأثر النحوي لا تتحدد في البني الأساسية، ولابد أن تراعي الهدف من البنية المركبة. فالتمني علي سبيل المثال قد يكون موضوعاً لغاية التندم والتحسر وفق مقتضي السياق التركيبي والنصي كما في قوله تعالى يتحدث فيه عن رجل ظن أن جنته (حديقته) لن تبيد أبداً؛ فلما قضي الله أمره فيها وأماتها؛ وذهب بمائها أصبح ذلك الرجل ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٢)، "وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن"، ثم جاءت كلمة "يا ليتني" تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أُتي من جهة شركه وطغيانه فتمني لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بسخطه" (الزمخشري، بلاتا، ٢/٧٢٤).

ومن ذلك ما نراه في قول الظالم لنفسه حين ندمه علي ما فرّط في عصيان ربه؛ ولم يتخذ الرسول خليلاً له، بينما اتخذ إبليس ولياً له وخليلاً فقال تعالى واصفاً إياه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان:٢٧-٢٨). "عضّ اليدين و... كنايات عن الغيظ والحسرة"، فقد "تمني لو صحب الرسول وسلك معه طريقاً واحداً وهو الطريق الحق..."، ولكنه ندم ولات حين ندم، وبدت الحسرة عليه في قوله: "يا ويلتي، ليتني" (الزمخشري، بلاتا، ٣/٢٧٦). وهو يتمني أن يكون تراباً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النباء:٤٠). الإنسان يتمني أن

يكون تراباً بعد أن أدرك الحقيقة؛ ويتمني قائلاً: ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فـلم أبـ ـعث (الزمخشري، بلاتا،٣/٢٧٦). فأسلوب التمني بهذه الأشكال الشفافة تنبئ بوظائف عديدة: بلاغية وجمالية ودلالية....

أهم نتائج البحث:

١- نستنتج مما تقدم أن الفارق الدلالي بين (التمني) و(الترجي) هو قرب حـ صول المطلوب أو بعده أي إمكانية أو استحالة المتمني، وأن كل هذه الأ ـمور لا تـ قاس بالعقل، ولا تقدر بالنسبة إلى العُرف أو الواقع، فالمعيار الحقيقي في ذلك هو نفـ سية المتكلم المبدع الذي تأتي هذه الأساليب معبرة ومصورة مرادة، وعلي هذا الأساس قد يتبادل الأسلوبان موقعيهما في نظرنا، ويكون لكل منهما حينئذ ما يبرزه استبعاد الداني، واستشعار الاستحالة في الأمر القريب.

٢- أن الأسلوب البلاغي في التمني والترجي يرتبط جمالياً بالأداة البلاغـية اللغو ـية، ويتعامل معها بناء علي تشكيل جمالي ينساق وفق مستوي التركـيب، و مـن ـثم أحساس المتلقي بعلاقات التبادل التركيبي وعناصرها الجمالية.

٣- أن البنية اللغوية ليست بنية محايدة في التعبير والأداء؛ وهي حين تنطلق من الو حدة التركيبية المعنوية الصغرى في (أداة التمني أو الترجي) لا تقتصر عليهما، فلابد لأداة من سياق يؤطر معني التمني أو الترجي، ويقدم المعني المطلوب علي الوجه ا ـلمراد منه.

٤- ولـمّا رُبط التمني والترجي بالاستقبال، وربطت الأدوات بالفعل المضارع المنصوب لم يكن هذا ليحصرها بمعانٍ محددة، كالتي أشرنا إلى بعضها في الدراسة، فال سياق القائم علي وحدة معنوية كبري قد يوجه معني التمني أو الترجي إلى ا تجاه آ خر، وإن ظل السياق مؤطراً بإحدى الأدوات المعروفة.

٥- وهذا كله يجعل التركيب في أسلوب التمني من أن أعظم من أن يحتويه أسلوب ذو اتجاه واحد، أو أسلوب مباشر؛ فلابد أن يتجه إلى أسلوب متنوع يأخذ في أعـ ماق الدلالة، وتصبح روح اللغة هي الهدف والوسيلة، فالأسلوب هنا يتجه إلى وظيـ فة

عاطفية أعلي في شدتها ودرجتها مما عرفنا من قبل؛ وتبعث من الإيحاءات الفكرية أضعاف ما انطوت عليه في الأسلوب السابق.

٦- تبين لنا أن تقارب (التمني) و(الترجي) إلى الحد الذي يسمح فيه بتبادل بعض أدواتهما، فأياً كانت أداوتهما، فإما هو طلب أمر مرغوب فيه أو محبوب لا يرجي حصوله لكونه مستحيلاً، أو لكونه ممكناً بعيد الوقوع لا يتحقق وله أداة أصلية هي (ليت)، أو هو طلب أمر مرغوب يرجي حصوله وله أداة أصلية هي (لعل)، أدوات أخري تقوم مقامها وتحل محلها في المعني والسبب في خروج بعض هذه المعاني إلى بعض، هو تقاربها، والمعتمد في ذلك قرائن الأحوال، فلأجل ذلك يجوز استعمال بعضها مكان بعض.

٧- تبين لنا أيضاً أن معرفة الأساليب الأدبية، كأسلوب التمني والترجي، تساعد في فهم دقيق الآيات واستيعاب معانيها ودرك جمالها اللغوي.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- ابن الرومي، (١٩٩٨م)، الديوان، شرح عبدالأمير مهنا، بيروت: مكتبة الهلال، ط٢.
- ابن عقيل، (١٤١١هـ/ق) شرح الألفية، شرح محمد محي الدين، قم: انتشارات سيد الشهداء، ط٣.
- ابن هشام، (١٤١٠هـ/ق) مغني اللبيب، طهران: المجمع العلمي الاسلامي، ط١.
- الأصفهاني، أبو الفرج، (١٩٩٧م) الأغاني، بيروت: دار احياء التراث، ط٢.
- التفتازاني، سعدالدين، (بلاتا) شرح المختصر، شرح عبد المتعال الصعيدي، قم: مطبعة الغدير، ط١.
- الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠٤م)، دلائل الإعجاز، شرح محمد الخفاجي، بيروت: دار الجيل، ط١.
- الحريري، القاسم، (١٩٩٩م) درة الغواص في أوهام الخواص، طهران: مركز نشر التراث، ط١.
- الزمخشري، جارالله، (١٩٩٩م)، الكشاف، قم: منشورات البلاغة.
- السكاكي، سراج الدين، (٢٠٠٠م) مفتاح العلوم، شرح عبدالحميد الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

- ضيف، شوقي، (بلاتا)، البلاغة تطور وتاريخ، لقاهرة: دار المعارف، ط١٠.
- فاضلي، محمد، (١٣٦٥هـ/ش)، دراسة ونقد في مسائل بلاغية، مشهد: مؤسسة مطالعات، ط١.
- مازندراني، محمد، (١٣٧٦هـ/ش)، أنوار البلاغة، شرح محمد غلامي نجاد، ط طهران: نشر ميراث مكتوب، ط١.
- المعري، أبو العلاء، (١٩٨٦م)، شرح ديوان المتنبي، القاهرة: دار المعارف، د.ط.